

السماء ووضع الميزان، ثم جعل الأرض
للأنام، وذكر ما فيها من نخل وفاكهة
وحب وريحان، تقول:

﴿.. فَبِأَيِّ آءَاءِ رَبِّكُمْ تُكذِّبَانِ * خَلَقَ
الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ
الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ * فَبِأَيِّ آءَاءِ
رَبِّكُمْ تُكذِّبَانِ﴾ (الرحمن: ١٤-١٧)

وبعد ذكر عدد آخر من النعم والآيات
والحقائق المشهودة المعروفة لأهل
الأرض.. وبعد كل آية تسأل الفريقين
الذين يستمتعان وينتفعان ويشهدان
كل تلکم النعم.. سؤال تقرير وتوجيه
ولفت انتباه: فبأي آءاء ربكما
تكذبان؟ ثم تتبع ذلك بتحد وتحذير،
أو هو شحد للهمم ولفت نظر لآفاق
جديدة في الكون، فتقول:

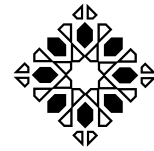
﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ * فَبِأَيِّ
آءَاءِ رَبِّكُمْ تُكذِّبَانِ * يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ
وَإِنْسِ إِنِ اسْتِطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ
أَفْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا
تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (الرحمن: ٣٢-٣٤)

وتشير الآيات بعد ذلك إلى عقاب
المجرمين فتقول:

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا
جَانٌّ * فَبِأَيِّ آءَاءِ رَبِّكُمْ تُكذِّبَانِ *
يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ
بِالنَّوَاصِي وَالْأَفْئَامِ﴾ (الرحمن: ٤٠-٤٢)

الجن.. في القرآن الكريم

الأستاذ المرحوم : محمد حلمي محمد الشافعي *



سورة الرحمن

وإذا وصلت بنا التلاوة إلى سورة
(الرحمن)، وجدنا سورة قرآنية توجه
حديثها كله إلى فريقين من المخاطبين.
فبعد ذكر بعض النعم الربانية من خلق
الإنسان، وتعليم القرآن والبيان، وذكر
الشمس والقمر والنجم والشجر ورفع

* رئيس تحرير «التقوى» السابق

وتتحدث عن النعيم لمن خاف مقام ربه فتقول:

﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ * فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * خُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ * فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * لَمْ يَطْمِئْتُنَّ إِذْ سَمِعْنَ قَبْلَهُمْ وَلَا جِآنَ ﴾
(الرحمن: ٧١-٧٥)

حين يذكر أن مخلوقا ما قد خلق من شيء معين.. يراد به أن المخلوق يحمل في طبائعه بعض خصائص هذا الشيء الذي خلق منه. فالإنسان يحمل من الطين ليونته وبرودته وقابليته للتشكل والانقياد، وهذه طبائع عامة البشر. أما العجان فهم ذوو حمية وأنفة واندفاع ورغبة في القيادة والزعامة ولهم تميز عن غيرهم في نزعاتهم ومسلكهم، وهذه طبائع السادة والقادة.

بدأت بذكر صفة الرحمانية التي تُذكرنا برحمة الله التي تفيض على كل عباده من غير استحقاق من جانبهم، ولقد كان تعليم القرآن هو من أجل فيوضات هذا الاسم الجليل. ثم ذكرت بعد ذلك خلق الإنسان وتعليمه البيان.. وفي ذلك إشارة حلية إلى أن الإنسان هو محل النعمة القرآنية، وأن الهدف الأسمى للقرآن هو أن يصل بالبشر إلى مرتبة الإنسانية الكاملة، التي تعرف ربها وخالقها وآلائه عليها.. ومن ثم تعبدته العبادة التي تحقق الغرض من خلق الإنسان.

* * *

سورة الجن

وفي سورة (الجن) نجد أن الحديث يتناول جماعة من العقلاء، سمعوا بعض آيات من القرآن الحكيم.. ربما من شفيعي الرسول ﷺ وربما من بعض صحابته الكرام. ولم يكن المصطفى ﷺ على علم بهذه الواقعة وما يترتب عليها من آثار حميدة في مستقبل انتشار

ذلك. ولقد سبق أن تناولنا المراد من خلق الإنسان من صلصال والمراد من خلق الجان من نار.. ولا بأس من أن نوجز هنا فنقول: حين يُذكر أن مخلوقا ما قد خلق من شيء معين.. يراد به أن المخلوق يحمل في طبائعه بعض خصائص هذا الشيء الذي خلق منه. فالإنسان يحمل من الطين ليونته وبرودته وقابليته للتشكل والانقياد، وهذه طبائع عامة البشر. أما العجان فهم ذوو حمية وأنفة واندفاع ورغبة في القيادة والزعامة ولهم تميز عن غيرهم في نزعاتهم ومسلكهم، وهذه طبائع السادة والقادة. ولو أن المراد كان غير ذلك.. فما دخل الجن أو الجان بكل تلك الماديات مثل الأشجار والفواكه، والسفن والبحار، والنجم والشجر، والميزان والنحاس، والفرش والحريير والنساء الجميلات؟ إن كل تلك الأمور تتعلق بالبشر وحدهم ولا دخل للجن بها إلا إذا كانوا بشرا مثلهم.. مع تباين في المقام أو الدور الاجتماعي وما إلى ذلك. والواقع إن سورة (الرحمن) التي تحدثت عن الجن والإنس فإنما يتحدث عن وجهين لعملة واحدة. هي عملة البشر، أو فرعين لشجرة واحدة.. هي شجرة بنى آدم. ونلفت النظر هنا إلى أن (الثقلين) في السورة التي تحدثت للبشر في زمن التنزيل تكلمهم اليوم أيضا. فالثقلان هما قادة الكفار وعامتهم، أو هم الروم والفرس بعد ذلك.. وهم اليوم كتلة الشرق المادية الملحدة وكتلة الغرب المادية الصليبية. كما أن (الإنس والجنان) في الحديث عن حور الجنة من النساء المؤمنات -فيراد بهما البشر عامة.. والأفكار النفسية الباطنية، بمعنى أن تلكم الحور لم يمسس ظهرهن من البشر.. ولم يداخل نفوسهن أفكار أو ميول خفية مما قد ينال من صلاحهن وعفافهن. ولا يفوتنا ملاحظة أن سورة (الرحمن)



والطاعة.. لكي يقى قارئ القرآن
والعامل به والداعي إليه من شرور قد
تسرب إلى النفوس بتحريض فئة مضللة
من الناس. والاستعاذة هنا ذات
وجهين:

أولهما: أن الوسواس الخناس هو ذلك
الذي يسعى للتسلل إلى النفوس جميعاً..
سواء منها نفوس العامة أو الخاصة..
فقوله ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ يريد به أن
موسوس الشر يسعى للتأثير في الخاصة
المتميزين من البشر كما يعمل على
تضليل عامة الناس.

وثانيهما: أن وسواس الشر نفسه
صنفان: الفاسدون من الحكام والقادة
الذين يوعزون بالشر إلى الناس، وصنف
من شرار العامة والرعية. ويمكن أن
يكون المعنى أيضاً أن الوسواس يكون
من العوامل الشريرة الخفية الباطنة
(الجنة)، أو من فعل البشر عموماً
(الناس). والآية تستدر الحماية الربانية
الملكية الإلهية ضد كل تلك المؤثرات،
ومن سلم منها فقد فاز بالمنهج القرآني
الذي أتم قراءته بالمعوذتين.

* * *

هذا هو كل ما جاء في القرآن الكريم
بشأن الجن والجان والجنة. ويلاحظ
أن الاستعمال القرآني يتسم بأسلوب
معين، نجمله فيما يلي:

١- وصف (الجن) مُعَرَّفًا للدلالة على

فيهم العزائم ويطمئنهم على مستقبل
دينهم الحنيف.. الذي يبدلون كل غال
رخيصاً من أجل إذاعته في العالمين.
ولا بد أن هؤلاء النفر قد أثمرت
دعوتهم نورا في قلوب أقوامهم، فما
أن وصلت طلائع المسلمين إلى بلادهم
في الشام ومصر والعراق حتى بادروا
يستقبلون الإسلام بالقبول والرضا
والترحاب.. ولعل هذا النبأ العظيم كان
وراء العناية النبوية ولفته الكريمة.. إذ
حث صحابته كي يستوصوا بالنصارى
خيراً.

ونلاحظ في حديث الجن عن الإعجاز
في الأرض والهرب والحطب والماء
الغدق.. أنهم رجال من البشر، كل
ما في الأمر أنهم لما سمعوا القرآن لم
يتنبه لهم أحد.. كما أنهم كتموا أمرهم
عن أهل مكة. وأراد القرآن أن يجعلهم
بشارة محبوة للمسلمين.

* * *

سورة الناس

وفي الختام عند آخر سور القرآن..
سورة (الناس).. نستعيد بالله برب
النور الكاشف للمؤامرات والشرور..
أي مؤامرات أعداء الإسلام
والمسلمين.. ومن شرور المتآمرين
مدبري الشرور. ثم نستعيد بالله برب
الناس جميعاً، ومالك أمرهم وزمامهم..
الجدير وحده بالتأليه والتوقير والمحبة

الإسلام. ولقد أوحى الله إليه خبرهم
مباشراً له بإيمانهم وإسلامهم وعملهم
على نشر الدعوة بين قومهم. وهؤلاء
النفر غير النفر الذين حكّت عنهم
سورة (الاحقاف) آنفاً. ذلك لأن
أولئك كانوا يعرفون كتاب موسى
العليّ أي التوراة ولم يذكروا شيئاً عن
عيسى العليّ وإنجيله. واليهود هم الذين
لا يعترفون بالمسيح بن مريم وكتابه.
ولو أنهم كانوا من النصارى لأشاروا
إلى ذلك. أما النفر هنا فهم من النصارى
لأنهم ذكروا معتقداً من المعتقدات

الأساسية عند المسيحيين.. وهو البنوة
لله تعالى. ويبدو أن بعضهم كان من
رجال الكهنوت.. وهؤلاء هم أدرى
الناس بما هم فيه من الضلال والتضليل
وممارسات الدجل والشعوذة والتقول
على الله والرجم بالغيب. ولقد عرف
هؤلاء من آيات القرآن أن سوق الباطل
والجرأة على السماء قد كسد، وأن

محمدًا ﷺ وصحبه.. وفي أيديهم ذلك
الكتاب السماوي ينير لهم طريقهم
ويهديهم سواء السبيل.. سوف
يصدون كل عدوان عقائدي على
وحدانية الله تعالى، ولن يبقى الميدان
بعد خالياً أمام الدجل والباطل.

إن إيمان هذا النفر الكريم من النصارى
يبث بلا ريب في نفس النبي ﷺ
وصحابته الأبرار روح الأمل بما يقوي



صنف معين من الكائنات الخفية أو المتوهمة. الخفية كالملائكة.. والمتوهمة كالأرباب الباطلة والآلهة التي تقوم عبادتها علي الوهم الكاذب. ومن أمثلة هذه الأرباب فسدة الكهنة وشرار السدنة والفراغنة والهامانات ورجال الكهنوت المرتزقة من كافة الديانات. وتستعمل الكلمة في مقابل (الناس) وهم أفراد المجتمع العاديون الذين غالباً ما يكونون ضحية ممارسات (الجنّة). ويلاحظ في الآيات التي تتناول هذه الفئة الفاسدة المفسدة أنها تنذرهم بالعقاب الإلهي وتشير إلى فسادهم.

٥- كلما جاء ذكر الطائفتين معا قُدم الجن على الإنس دلالة على تمييزهم من ناحية القوة والسلطان والمهارة وكافة الأمور الدنيوية. أما إذا كان المجال روحانياً كان التقدم للإنس.

مختفين من فرائسهم ومستترين من أعدائهم. والكلمة مستخدمة في مقابل (الإنسان) وهو البشر بعد تسويته وتحضره وتمدنه. وفي هذا الاستعمال

” كلما جاء ذكر الطائفتين معا قدم الجن على الإنس دلالة على تمييزهم من ناحية القوة والسلطان والمهارة وكافة الأمور الدنيوية. أما إذا كان المجال روحانياً كان التقدم للإنس.“

يشير القرآن إلي خلق (الجان) من نار وخلق (الإنسان) من طين.

٣- كلمة (جان) منكرة للدلالة على المؤثرات الخفية الباطنة، في مقابل كلمة (إنس) منكرة للدلالة على التأثير البشري المكشوف.

٤- وصف (الجنّة) معرفاً للدلالة علي

الكبار الذين يلفتون الأنظار، بينما يتضاءل ويختفي غيرهم في وجودهم.. أي أنهم ساترون. وأيضا للدلالة على الخاصة والكبار لأنهم يناون عن العامة ولا يختلطون بهم ولا يظهرون لهم عادة - أي أنهم مستترون. والكلمة تستعمل في مقابل (الإنس) وهم الأشخاص العاديون من العامة والرعية ورجل الشارع. ولا يميز الاستعمال القرآني بين الفريقين في الخلق أو الدين أو الهداية.. الخ. والفرق بينهما هو في المركز القيادي والمنزلة الاجتماعية للجن وتميزهم عن الإنس في ذلك الدور.

٢- وصف (الجان) مُعرفاً للدلالة على البشر في بداية تطورهم قبل تسويتهم وتحضرهم، عندما كانوا يعيشون حياة الوحش النافر في الكهوف والمغارات

وَصُنْتُ نَفْسِي عَنِ الْهَوَانِ
فُضِّلَ فُلَانٌ عَلَي فُلَانٍ
فَلَا أَبَايَ إِذَا جَفَانِي
رَأَيْتُهُ بِأَلْتِي رَأْنِي
رَأَيْتُهُ كَامِلَ الْمَعَانِي

قِنِعْتُ بِالْقَوْتِ مِنْ زِمَانِي
خَوْفًا مِنَ النَّاسِ أَنْ يَقْتُولُوا
مَنْ كُنْتُ عَنْ مَالِهِ غَنِيًّا
وَمَنْ رَأْنِي بِعَيْنِ نَقْصٍ
وَمَنْ رَأْنِي بِعَيْنِ تَمِّمٍ

الإمام الشافعي رحمه الله تعالى عليه